بسم الله الرحمن الرحيم

علم العقايد: أصول العقيدة

خلاصة الدرس الخامس

أسباب اختلاف الناس في الأديان

ImamSadiq.tv ImamSadiq.tv ImamSadiq.tv

أسباب إختلاف الناس في أديانهم

وهنا قد يتساءل البعض عن سرّ إختلاف الناس في اديانهم هذا الاختلاف الشاسع، وأن هذا كيف يجتمع مع قوة ادلة الدين الحق، ووضوح حجته وبرهانه؟

وإذا كان بعض الناس يتعمد مخالفة الحق الواضح عناداً، او لمصالح مادية، فإن أكثر الناس ليسوا كذلك، بل يتبنى كل فريق دينه وعقيدته عن قناعة واخلاص، ويعمل عليه ويسعى في ترويجه، ويدافع عنه بإصرار قد يبلغ حد التضحية بكل غال ونفيس. وما ذلك الا لخفاء الحق عليه.

ولذا قد يذهب الذاهب إلى أن الحقّ ليس بذلك الوضوح، وأن كل صاحب دين وعقيدة معذور فيما يعتقد، إلا من تعمد مخالفة الحق مع وضوحه عنده، عناداً، او لمصالح مادية او غير ذلك، كما أشار اليه في قوله تعالى: {وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ} سورة البقرة آية: ٢١٣. أقل القليل.

وجواب ذلك: أن كثرة الخلاف في الحقّ لا تنافي وضوحه، لا بمعنى وضوحه للمخالف فيه، بل بمعنى وضوحه في حدّ نفسه، بحيث لو أراد الإنسان الفحص عنه بالطرق العقلائية والنظر في أدلته، وتحكيم الوجدان فيها، لوصل إليه، وانما لم يستوضحه المخالف لتفريطه في أمره، إما لعدم إهتمامه بالبحث والفحص، او لوجود المانع من الإستجابة للأدلة. من مصالح مادية، او تعصب، او تقليد أعمى، او غير ذلك. يفقد الانسان به رشده، ويعطل عقله، ويخرج بسببه عن الطرق العقلائية المعول عليها- عنده وعند جميع العقلاء. في عامة الأمور.

ومن أجل ذلك لا يكون معذوراً بين يدي الله تعالى، الذي فرض الحق، واوضح حجته.

صعوبة الموضوعية في البحث ليست عذراً

نعم نحن لا ننكر صعوبة الموضوعية في البحث والتجرد من المسلمات والتراكمات الموروثة، والتحرر من التقليد للآباء والاجداد، التي هي من أهم أسباب التعصب، وما يستتبعه من ضبابية تمنع من مصداقية الرؤية والوصول للحقيقة والإذعان بها.

ولا سيما مع ما منيت به الحقيقة التي جعلها الله تعالى وفرضها. على طول الخط. من التعتيم عليها والتشنيع من قبل قوى الشرّ التي تراها خطراً يهدد مصالحها، وعائقاً دون إنفاذ مشاريعها الجهنمية.

إلا أن ذلك كله لا يصلح عذراً في الخروج عن الأدلة الواضحة والبراهين القاطعة التي تملكها الحقيقة المذكورة، والتي يقضي بمتابعتها والإذعان لها العقل السليم والوجدان بمرتكزاته التي اودعها الله سبحانه وتعالى في الإنسان، وبها يحتج عليه.

ومن هنا لا محيص للإنسان الذي يريد الأمان لنفسه وسلامتها من المخاطر والمهالك من أن يبحث عن الحقيقة، ويجهد في الوصول اليها، وينظر في أدلتها بموضوعية تامة وتجرد عن كل شائبة، ويحكم فيها عقله الذي هو الحجة الباطنة عليه من قبل الله تعالى، وهو المدار في ثوابه وعقابه، وسعادته وشقائه.

الموضوعية في البحث عن الدين الحق

ويحسن بكل من يهمه الوصول للحقيقة، والنظر في أدلتها وحججها، بموضوعية كاملة، وتجرد عن التراكمات والمسلمات الموروثة، أن يستعين على ذلك بأمور:

احتمال الخطأ من كل أحد

الاول: أن يضع في حسابه من أول الأمر احتمال الخطا في كل عقيدة تفرض مهما كان لها من أتباع، لأن الناس لم تختلف في عقائدها نتيجة إختلاف مستوياتها العرقية او الفكرية او الثقافية او غيرها، بل كثير من العقائد المختلفة حد التقاطع والتناقض قد حصل لكل منها أتباع من ذوي المستويات العالية في المعرفة والثقافة من مختلف القوميات والأقطار. حيث يكشف ذلك عن ان الخطأ في العقيدة متوقع من كل أحد.

لا ينبغي أن يجرّ حسن الظن بالأتباع للبناء على صحة عقيدتهم الدينية، وإستبعاد الخطأ عليهم مهما كان شأنهم.

بل ينبغي اولاً النظر في اصول العقيدة، وفي أدلتهم بموضوعية كاملة، حتى إذا اتضح حالها يحكم على اتباعه بما يناسبها من خطأ او صواب، وهدى او ضلال، كما قال امير المؤمنين (عليه السلام): (إعرف الحق تعرف أهله)) (تاريخ اليعقوبي ٢:٢١٠) في خلافة امير المؤمنين علي بن ابي طالب.

وقال الحارث بن حوت لأمير المؤمنين (عليه السلام): أتراني أظن اصحاب الجمل كانوا على ضلالة؟ فقال (عليه السلام): ((يا حراث إنك نظرت تحتك ولم تنظر فوقك فحرت، إنك لم تعرف الحق فتعرف أهله، ولم تعرف الباطل فتعرف أهله)). (نهج البلاغة٤:٦٣ واالفظ له/ تاريخ اليعقوبي ٢:٢١٠ في خلافة امير المؤمنين علي بن أبي طالب.

تحديد دلالة الدليل

الثاني: إن كل دليل يطلع عليه الباحث، قد أقيم على قضية دينية حساسة يقرّ بها، أو ينكرها، فليفرض أن نظيره قد أقيم على قضية اخرى غير حساسة، او حساسة باتجاه معاكس لإتجاه القضية التي استدل عليها بذلك الدليل. فإن رآه صالحاً لأن يثبت تلك القضية الأخرى فهو صالح لأن يثبت القضية التي استدل عليها به، وإن لم يره صالحاً لذلك فهو غير صالح لأن يثبت تلك الحقيقة، لأن اختلاف الأمر المستدل عليه لا أثر له في قوة الدليل وضعفه.

غاية الأمر أنه قد يكون معارضاً في بعض الحالات دون غيرها. وهذا أمر آخر يقتضي البحث في مشكلة المعارضة، ولا أثر له في صلوح الدليل بنفسه للإستدلال وعدمه.

فمثلاً اذا ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حديث في حق بعض الصحابة . ممن احتدم الخلاف فيه بين المسلمين . مادح له او قادح فيه، واراد الباحث أن يعرف مدى دلالة ذلك الحديث، فليفرض أن نظير الحديث المذكور قد ورد عن النبي موسى (عليه السلام) في حق اصحابه ممن لا يهمنا أمره، أو ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نفسه في حق شخص آخر من صحابته تتبناه طائفة مناقضة للطائفة التي تتبنى الشخص الذي تناوله الحديث المذكور.

حيث يسهل عليه حينئذ تحديد دلالة ذلك الحديث بموضوعية كاملة بعيداً عن التعصب والتعسف.

ينبغي الإهتمام بوضوح الحجة لا بإقناع الخصم

الثالث: أن لا يهتم الباحث عند النظر في الأدلة بإقناع خصمه او إسكاته بقدر إهتمامه بإدلاء حجته بين يدي الله عز وجل {يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ} سورة النحل آية :١١١.

حيث يقف بين يديه تعالى فرداً لا يملك لنفسه نفعاً ولاضراً، ولا يملك من وسائل السلامة الا دليله وحجته. وهو سبحانه اللطيف الخبير، لا يعجزه معرفة الدليل القويم من الدليل السقيم، ولا تنفع معه المكابرات والمغالطات. ثم هو الحاكم القاهر، والجازي بالعدل، أفضل الثواب، او أشد العقاب.

فإن ذلك يحمل الباحث على أن يحكم أمره، وينظر في الأدلة والحجج بعقله ووجدانه، مجرداً عن كل شائبة، ليكون دليله ركنه الوثيق وصمام الأمان له يوم العرض الأكبر.

واما من لم يذعن بعد بوجود الله عز وجل، وبوعده بالبعث والحساب، والثواب والعقاب، فلا أقل في حقه من احتمال وجود الله عز وجل، ولا طريق له لإنكاره من دون نظر في الأدلة. بل يقضي عقله بفطرته بالتحفظ والإحتياط في ذلك بالنظر في الأدلة الموضوعية كاملة، من دون لجاجة وعناد. ليأمن من الهلكة والخسران الدائم.

ولا سيما مع ما نبه له الامام الصادق (عليه السلام) في حديثه مع بعض الزنادقة، حيث قال له: ((إن يكن الامر كما تقول . وليس كما نقول . نجونا ونجوت، وإن كان الأمر كما نقول . نجونا وهلكت)) (بحار الانوار٣: ٤٧).

اما الإهتمام بإقناع الخصم فهو لا يضمن الوصول للحقيقة والخروج عن المسؤولية إزاءها، لأن الخصم قد يكون من السذاجة بحيث يقتنع بأضعف الأدلة، وقد يكون من العناد والتعصب بحيث لا يقتنع بأقوى الأدلة، بل قد يحاول الالتفاف عليها اذا كان متمرساً في الخصام والجدل.

ImamSadiq.tv

لمشاهدة الدروس يمكنكم مراجعة الموقع الالكتروني:

حوزة الإمام الصادق عليه السلام الافتراضيةلتعليم الدروس الحوزوية (imamsadiq.tv)